

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[445] أمّا ما يذكره القرآن من أنّ هؤلاء في شك وتردد من هذه المسألة، فربّما كان

إشارة إلى أنصار وأعداء المسيح(عليه السلام)، وبتعبير آخر: إشارة إلى اليهود والنصارى، فمن جهة شككت جماعة ضالة بطهارة أمّهم وعفتها، ومن جهة أخرى شك قوم في كونه إنساناً، حتى أنّ هذه الفئة قد انقسمت إلى مذاهب متعددة، فالبعض اعتقد بصراحة أن ابن الأ – الابن الروحي والجسمي الحقيقي لا المجازي! – ومن ثمّ نشأت مسألة التثليث والأقانيم الثلاثة. والبعض اعتبر مسأله التثليث غير مفهومة وواضحة من الناحية العقلية، واعتقدوا بوجوب قبولها تعبدًا، والبعض الآخر تخط بكلام لا أساس له في سبيل توجيه المسألة منطقيًا. والخلاصة: فإنّ هؤلاء جميعاً لما لم يروا الحقيقة – أو أنّهم لم يطلبوها ولم يريدوها – سلكوا طريق الخرافات والأساطير(1) وتقول الآية التالية بصراحة: (ما كان أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمر فإنّ ما يقول له كن فيكون) وهذا إشارة إلى أن اتخاذ الولد – كما يظن المسيحيون في شأن الأ – لا يناسب قداسة مقام الألوهية والربوبية، فهو يستلزم من جهة الجسمية، ومن جانب آخر المحدودية، ومن جهة ثالثة الإحتياج، وخلاصة القول: تنزيل الأ سبحانه من مقام قدسه إلى إطار قوانين عالم المادة، وجعله في حدود موجود مادي ضعيف ومحدود. الأ الذي له من القوّة والقدرة ما إذا أراد فإن آلاف العوالم كعالمنا المترامي الأطراف ستتحقق بأمر وإشارة منه، ألا يعتبر شركاً وانحرافاً عن أصول التوحيد ومعرفة الأ بأن نجعله سبحانه كالإنسان له ولد؟ وولد أيضاً الولد في مرتبة ودرجة الأب، ومن نفس طرازه! _____ 1 – من أجل زيادة الإيضاح في مسألة تثليث النصارى، وما حاكوه ونسجوه من الخرافات حولها، راجع ذيل الآية (171) من سورة النساء.